التصوف من وجهة نظر بعض المستشرقين
(دراسة تاريخية تحليلية)

أ.رحاب بنت متعب بن محمد الحمادي العتيبي

محاضر- جامعة الملك فيصل
المملكة العربية السعودية

مستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول التصوف الإسلامي من وجهة نظر بعض المستشرقين الغربيين، وتكمن أهميته في تتبع أراءهم ووجهات نظرهم وعرض اقوالهم على كتاباتهم عن التصوف الذي ظهر وانتشر في البلدان الإسلامية، واتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، بغية الوصول إلى نتائج والتي منها: أن بعض المستشرقين بين أن التصوف في نشأته تأثر بعوامل خارجه عن الدين الإسلامي، وأن من أهم مصادرة الأساسية هو تأثرها بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة.

Abstract:

This study aims to discuss about Islamic mysticism from the point of view of some western orientalists and its importance lies in tracking their opinions and points of view and presenting their sayings on their writings about Sufism which has been appeared and spread in muslim countries. This research followed the historical, descriptive, and analytical method in order to reach into the results including: some orientalist explained that the Sufism in its upbringing has been influenced by factors outside the Islamic religion, and the main evidence behind it that it has been influenced by Neoplatonic philosophy.

التصوف لغة:

يظهر من مراجعة كتب اللغة والمعاجم أن لفظة التصوف ليس لها اشتقاق في العربية، فهي لفظة مولدة. وصرح بذلك صاحب (المصباح المنير) فقال: (وتصوف الرجل وهو صوفي من قوم صوفية كلمة مولدة)[1].

التصوف الاصطلاح:

أ-تعريف التصوف عند غير الصوفية:

من الصعب تعريف التصوف بعبارة جامعة مانعة لكثيرة التعاريف التي وردت على ألسنة كثير من العلماء وبعض كبار المتصوفة والتي لا تخرج في عمومها عن أنه وصف حال الأنسان المنقطع للعبادة الزاهد في الدنيا المعرض عن زخارف الحياة.

1. يُعرَّف شيخ الإسلام ابن تيمية التصوف بانه: «نوع من الصديقية فهو أي الصوفي الصدِّيق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصدِّيق من اهل هذه الطريق كما يقال صدَّيقوا العلماء وصدِّيقوا الأمراء فهو أخصّ من الصدِّيق المطلق ودون الصدِّيق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم»[2].
2. يُعرف ابن خلدون أصل التصوف بأنه: «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزيتنها والزهد فيما يُقبِل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد للخلوة في العبادة»[3].

- قال ابن الجوزي في تعريف التصوف: (طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليه بالسماع والرقص، فمال إليها طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد، ومال طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب)[4].
- وقال ابن القيم: «التصوف: زاوية من زوايا السلوك الحقيقي، وتزكية النفس وتهذيبها، لتستعد لسيرها غلى صحبة الرفيق الاعلى ومعية من تحبه).
- وقال صديق حسن خان[5]: التصوف: علم يعرف به كيفية ترقي اهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم والامور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية)[6].

ب-تعريف التصوف عند الصوفية:

يعرف علماء الصوفية التصوف بتعريفات كثيرة، أورد القشيري أكثر من أربعين تعريفًا له نقله عن أئمة الصوفية. وأورد الكلاباذي تعريفات كثيرة للتصوف أيضًا.

قال السهروردي[7]: (وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول). وذكر احمد زروق[8] أن التصوف قد عُرف وحُدَّ وفُسّر ورُسم بوجوه تبلغ نحو الألفين.

ومن تعريفاتهم للتصوف:

-قول معروف الكرخي[9]: التصوف الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق.

-وقال الجنيد[10]: التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الامة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول في الرسول في الشريعة.-وقال الغزالي[11]: هو قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها على تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكر الله[12].

- وعرفه زروق البرنسي بقوله: (علم قصد لا صلاح القلوب، وإفرادها لله عما سواه).

فهذه تعريفات الصوفية الاوائل للتصوف، وأما المعاصرون فقد تنوعت عباراتهم في تعريف التصوف، ومنها:

ما عرفه (عمر كامل الحجاز) بأنه: علم وحكمة، وتبصرة وهداية، وتربية وتهذيب، وعلاج ووقاية، وتقوى واستقامة، وصبر وجهاد، وفرار من فتنة الدنيا وزينتها وابتعاد. وقال (أبو بكر الملا الإحسائي): هو تجريد القلب لله تعالى، واحتقار ما سواه. وعرفه (عبدالحفيظ المكي): بأنه جزء لا يتجزأ من دين الإسلام، وانه شعبة عظمى من شعب الدين، وهو الإحسان.

وفي ختام هذه التعريفات يستنتج منها ما يلي:

أولًا: اختلف المتصوفة في تعريف التصوف على أقوال كثيرة بلغت ألفي تعريف كما سبق بيانه.

ثانيًا: صار لفظ الصوفية لفظًا مجملًا يدخل فيه من هو صديق ومَن هو زنديق، فإن من صدّق الرسول فيما أخبر، وأطاعه فيما أمر، إذا حقَّق ذلك صار صدّيقًا، ومَن أعرض عن خبره وأمره حتى اخبر بنقيض ما أخبر، وأمر بخلاف ما أمر، فإنه يصير زنديقًا.

ثالثًا: تقوم غالب تعريفات المتصوفة للتصوف على ركنين: الأول: الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، الثاني: إصلاح القلوب وتزكيتها.

وعلى هذا فالزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة وإصلاح القلوب وتزكيتها جاء في القرآن والسنة. وتلك التعريفات التي عرف بها الصوفية التصوف لم تتضمن مصادره وعقائده وعباداته التي تميزه، فمن مصادر المتصوفة في التلقي: الكشف والوجد والذوق...، ومن عقائدهم: وحدة الوجود،

الاستغاثة بالخلق.. ومن عباداتهم: الاوراد والأحزاب والرياضات المبتدعة.. وهذه المصادر والعقائد والعبادات لم تتضمنها تلك التعريفات. وعلى هذا، فالتصوف ليس هو الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، ولا إصلاح القلوب وتزكيتها؛ لأن هذا مما جاءت به الشريعة قبل ظهور مصطلح التصوف، ولم يكن شيئًا خاصًا به، وغنما التصوف ما كان من تلك العقائد والعبادات التي استقل بها عن احكام الشريعة. وقد قرر هذا ابن الجوزي حيث قال: (التصوف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما ان الزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف)[13].

أولًا: مراحل التصوف وابرز أعلامهم:

لقد بدأ التصوف بالزهد والعبادة في البصرة ثم تطور إلى طرق صوفية منظمة ثم إلى انحرافات عقدية لا تمت إلى الإسلام بصلة وعليه يمكن تقسيم التصوف إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: النشأة (القرن الثاني):

ظهر في القرن الثاني مصطلح التصوف، وبدت ملامحه، قال شيخ الإسلام: (وكذلك في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك بلفظ الصوفي..).

وهي مرحلة العبَّاد والزهَّاد والذي كان يغلب على أصحابها العزلة والبعد عن الناس والزهد في الدنيا مع التزامهم في الغالب بآداب الشريعة مع تغليب جانب الخوف الشديد والبكاء المستمر.وظهر أحمد بن علي الهجيمي[14] الذي صحب عبدالواحد بن زيد[15]، وعبد الواحد صحب الحسن البصري[16]، ومن اتبعه من المتصوفة، وبنى دويرة للصوفية، هي اول ما بني في الإسلام.)[17]، وفي هذه الفترة عُرفت رابعة العدوية[18]، التي قالت بعبادة الله تعالى بالحب وحده دون خوفه ورجائه. ومن أبرز رجال هذه المرحلة عامر بن عبدالله بن الزبير الذي كان يواصل الصيام ويكثر من العبادة حتى قال له والده الصحابي الجليل عبدالله بن الزبير: «يا بني لقد رأيت ابا بكر وعمر ولم يكونا هكذا»[19]. ومنهم طلق بن حبيب[20] الذي كان من الزهاد الكبار ومن العلماء العاملين، ومنهم بشر الحافي[21] الذي كان رأسًا في الإخلاص والورع، والجنيد بن محمد بن الجنيد الذي يقول: «علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ الكتاب ولم يكتب الحديث ولم يتفقه فلا يقتدي به».وغيرهم كثير ممن كانت مقاصدهم حسنة ولكن ربما وقع بعضهم في بعض التجاوزات إما لقلة علمهم أو لأنهم عملوا بما وقعت عليه أيديهم من الأحاديث الضعيفة وهم لا يدرون. وهؤلاء يعتبرون من أوائل الصوفية في

مراحلها الأولى حيث جمعوا بين الزهد والتشدد في الدين والتعمق في الخطرات مما لم يكن معهودًا عند السلف. وقد استحدث في هذه المرحلة الاستماع إلى القصائد الزهدية التي تلقى بالألحان المطربة الذي أنكره الشافعي، وقال: (خلفت ببغداد شيئًا أحدثه الزنادقة يسمونه: التغبير، يصدون به الناس عن القرآن). والتغبير: هو الضرب بالقضيب، وهو آلة من الآلات التي تقرن بتلحين الغناء. واما أول من أطلق عليه لفظ (صوفي) فأبو هاشم الكوفي (ت150هـ). وقيل: جابر بن حيان (ت200هـ). وقيل: عبدك الصوفي[22] (ت220هـ). ولابد من القول هنا إن التصوف لم يكن معروفًا في زمن الصحابة والتابعين؛ ولذا فلا يجوز نسبته إليهم أو اعتبارهم من أوائل الصوفية كما ادعاه ابو نعيم الأصبهاني[23]، حيث أضاف التصوف إلى كبار الصحابة من متقدمي الأمة؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومالك والشافعي وأحمد[24]، وتبع الأصبهاني من بعده ممن ألف في طبقات الصوفية، كشعراني[25]، والمناوي[26]، حيث يبدؤون بذكر الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة ومشاهير الصحابة.

كما لابد من التنبيه هنا على أن كثيرًا من الدراسات المعاصرة التي كتبت في التصوف جعلت بدايتها في عهد النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، واعتبرتهم من أوائل الصوفية، كما جعلت الإسلام منبع التصوف ومصدره الأصيل.

ولعل أبرز سمات هذه المرحلة ما يلي:

1. التمسك بالسنة في الغالب عدا بعض التجاوزات.
2. احترام العلم والعلماء.
3. قلة الفقه في الدين وعدم الاهتمام بالحديث.
4. الاهتمام بالوعظ والإكثار من القصص المأخوذة من أهل الكتاب والأمم السالفة.
5. تغليب جانب الخوف والحزن ومواصلة الصوم والاضطراب والصعق والغشي عند سماع القرآن.
6. البعد عن مجالس العلم والقعود عن الكسب.

وهذه السمات لم تكن لها مناهج محددة وإنما كانت سمات شخصية تقع من بعض الأفراد وتنتج غالبًا عن الجهل والغفلة.

المرحلة الثانية: ظهور عقائد التصوف (القرن الثالث والرابع):

ظهرت في هذه المرحلة عقائد التصوف، وما صاحبها من ظهور الطرق والمصطلحات الصوفية الغامضة ونزعات الأهواء والبدع وعلم الإشارات والمكاشفات والذوق إلى غير ذلك. وفي هذه المرحلة نشأ ما يسمى بعلم الظاهر

والباطن وإعلان سقوط التكاليف الشرعية عن الأولياء بزعمهم أنهم اطلعوا على علم الحقيقة عن طريق الكشف «الإلهام».

فكان أول من تكلم في بلدته في ترتيب الاحوال ومقامات اهل الولاية ذو النون المصري[27] ت245هـ. كما أن أول من نسب إليه تفضيل الاولياء على الأنبياء أحمد بن أبي الحواري[28] ت246هـ. ويقال: عن أبا يزيد البسطامي ت261هـ أول من قال: لي معراج كما كان للنبي معراج[29].

كما أن أول من تكلم في صفاء الذكر وجمع الهم والمحبة والعشق والانس ابو حمزة الصوفي[30] ت269هـ، لم يسبقه إلى الكلام بهذا على رؤوس المنابر ببغداد أحد[31].

كما قيل: إن اول من تكلم في علم الفناء والبقاء ابو سعيد الخراز[32] ت277هـ.

كما ظهرت في هذه المرحلة تصنيف الكتب في الزهد والفقر والجوع والكلام عن التصوف.. فكان كتاب: «الرعاية لحقوق الله» للحارث المحاسبي[33] ت243هـ، و»اللمع في التصوف» لأبي نصر السراج[34] ت378هـ، و»التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي ت380هـ، و»قوت القلوب» لأبي طالب المكي[35] ت386هـ.

وبدأ في هذه الفترة ظهور الطرق الصوفية في صورتها الاولى؛ كالطيفورية نسبة إلى أبي يزيد البسطامي ت261هـ.

والملامتيةالقصارية نسبة إلى حمدون القصار[36] ت271هـ.

والخرازية نسبة إلى أبي سعيد الخراز ت277هـ.

والنورية نسبة إلى أبي الحسين النوري[37] ت295هـ.

والحلاجية نسبة إلى ابي منصور الحلاج[38] ت309هـ.

وأقطاب هذه المرحلة هم مشايخ الطرق الصوفية المشهورون مثل:

1. أبي الحسن الشاذلي[39] شيخ الطائفة الشاذلية الذي يصفه الشعراني في طبقاته بقوله: كان كبير المقدار عالي المنار له عبارات فيها رموز وكان قطب الزمان والحامل في وقته لواء أهل العيان حجة الصوفية وعَلَمُ المهتدين وزين العارفين أستاذ الأكابر وزمزم الأسرار ومعدن الأنوار».
2. ومن أقطاب هذه المرحلة أيضًا: أحمد الرفاعي[40] الذي يزعم أتباعه أنه «لما حج سنة 555هـ، وقف تجاه الحجرة النبوية وقال: السلام عليكم يا جدي. فقال له عليه أفضل الصلاة والسلام: عليك السلام ياولدي. وسمع ذلك كل من في المسجد النبوي ومدَّ له رسول الله يده الشريفة من قبره فقبَّلها في ملأ يقرب من تسعين

ألف رجل ثم قالوا: وإنكار هذه الكرامة كفر». بل تصديق هذه الخرافة جهل ونقص عقل إذ كيف خرجت يده ﷺ من قبره وهو فارق الحياة ويعيش فترة البرزخ كأكمل حياة الشهداء.

وقد وقعت بين الرفاعية وبين شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- مناظرة عظيمة أمام أمير دمشق حين زعموا أن بإمكانهم دخول النار والخروج منها سالمين فتحداهم شيخ الإسلام بأن يدخل معهم النار شريطة أن يغتسلوا بالماء الحار والخل لإزالة ما كانوا يطلون به أجسامهم من الأدوية التي كان يضعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج فمن أحرقته النار فعليه لهنة الله وكان مغلوبًا، وقد أظفره الله عليهم وطلبوا التوبة وقد ذكر شيخ الإسلام القصة كاملة في الفتاوى[41].

ويمكن حصر السمات البارزة لهذه المرحلة فيما يلي:

1. ظهور مشايخ الطرق الصوفية ووضع الأصول والمناهج العامة لها.
2. الإكثار من دعوى الالتزام بالكتاب والسنة ونهج السلف ثم وجود المفارقات لهذا الشعار عند التطبيق.
3. وجود بعض الشطحات في الألفاظ والسلوك والتصرفات مما أنكره عليهم علماء السلف ووصفوهم به بالضلال.
4. ظهور القصائد الصوفية وتطور مفهوم السماع وما يرافقه من السكر والوجد والرقص.
5. ظهور المصطلحات الصوفية مثل الكشف والحقائق والأسرار والفناء والمشاهدة وغيرها.

المرحلة الثالثة: اقتران التصوف بعلم الكلام (القرن الخامس والسادس):

ارتبط التصوف بعلم الكلام في هذه المرحلة ارتباطًا وثيقًا، حيث دخل علم الكلام على الصوفية عن طريق الأشاعرة[42].وبدأ ارتباط التصوف بعلم الكلام عن طريق القشيري ت465هـ، حيث ادخل التصوف في المذهب الاشعري وربطه به، وذلك حين الف رسالته المشهورة في التصوف وأحواله وتراجم رجاله، وذكر في احد فصولها أن عقيدة أعلام الصوفية هي عقيدة الأشاعرة. وجاء بعد القشيري ابو حامد الغزالي ت505هـ الذي يمثل مرحلة خطيرة من امتزاج التصوف بالمذهب الأشعري حتى كاد ان يكون جزءًا منه.

قال شيخ الإسلام: (والمقصود هنا أن المشايخ المعروفين الذين جمع الشيخ ابو عبدالرحمن السلمي أسماءهم في كتاب: «طبقات الصوفية»، وجمع

اخبارهم وأقوالهم، دع من قبلهم من ائمة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين جمع ابو عبدالرحمن وغيره كلامهم في كتب معروفة، وهم الذين يتضمن اخبارهم كتاب «الزهد» للإمام أحمد وغيره، لم يكونوا على مذهب الكلابية الأشعرية..). وفي هذه المرحلة ظهرت أوائل الطرق الصوفية، كالقادرية نسبة لعبد القادر الجيلاني ت561، والرفاعية نسبة لأحمد الرفاعي ت578هـ.

المرحلة الرابعة: امتزاج التصوف بالفلسفة (القرن السابع والثامن):

تعتبر هذه المرحلة من اخطر مراحل الصوفية، حيث تسربت غليها الفلسفة اليونانية، فابتعدت بها عما سبقها من مراحل التصوف. فدخلت الفلسفة في التصوف من قاعدة ان الفلسفة: هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، فقرَّرها الغزالي في كتابه: «المضنون بها على غير أهلها»، ومشى خلفه القائلون بالوحدة المطلقة والاتحاد. وفي هذه المرحلة تتابع ظهور الطرق الصوفية؛ كالشاذلية نسبة إلى ابي الحسن الشاذلي ت656هـ، والأحمدية نسبة إلى أحمد البدوي[43] ت675هـ، والبراهمية أو الدسوقية نسبة إلى إبراهيم الدسوقي ت676هـ، والنقشبندية نسبة إلى محمد البخاري[44] ت791هـ، وغيرها. وفي هذه المرحلة اشتهرت عقائد كفرية بين الصوفية؛ كالقول بوحدة الوجود، والاتحاد، ونادى بها أصحابها؛ كابن الفارض[45] ت632هـ، وابن عربي[46] ت638هـ، وابن سبعين[47] ت669هـ.

تعد هذه المرحلة من اخطر مراحل التصوف فقد بدأت الانحرافات في الظهور بعد تسرب الفلسفة اليونانية والاتجاهات الفارسية والمجوسية والتأثر بالديانات اليهودية والنصرانية وأبرز سمات هذه المرحلة يمكن حصرها فيما يلي:

1. تكوين أصول الصوفية ومدى تأثرها بالنصرانية وقولها بالاتحاد والحلول وبالمجوسية وتقديسها للأشخاص وبالهندية وقولها بالفناء والتناسخ وبالفلسفة اليونانية وإلحادها وزندقتها والقول بوحدة الوجود.
2. دعوى العلم اللدني والتلقي عن الله مباشرة كقول البسطامي أخذتم دينكم ميِّت أما نحن فنأخذ عن الحي الذي لا يموت وقول ابن عربي: «والله ما كتبت في الفتوحات المكية حرفًا إلاَّ عن إملاء إلهي أو إلقاء رباني او نفث روحاني او روح كياني».
3. وقوعهم في الكثير من البدع الاعتقادية كالتشيع والتهجم والإرجاء والقدر لبعدهم عن مناهج التلقي الصحيحة وهي الكتاب والسنة.
4. وقوع بعضهم في الفواحش والرذائل وزعمهم أنها من باب الكرامات.

وبعد فهذه ملامح رئيسة تم ذكر بعضها بإيجاز للدلالة على المراحل التي مرت بها الصوفية وكيف بدأت زاوية الانحراف بسيطة ثم اتسعت كلما ابتعدوا عن الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح حتى آل بهم الحال إلى الإلحاد والقول بالاتحاد ووحدة الوجود والحلول والتحلل من الشرائع نعوذ بالله من ذلك[48].

ثالثًا: مدارس الصوفية:

1. مدرسة الزهد وأصحابها من النساك والزهاد والعباد والبكائين، ومن أفرادها: رابعة العدوية، وإبراهيم بن أدهم، ومالك بن دينار.
2. مدرسة الكشف والمعرفة: هذه المدرسة هي التي تقوم على اعتبار أن العقل وحده لا يكفي في تحصيل المعرفة وغدراك حقائق الموجودات، إذ لا بد أن يتطور المرء بالرياضة النفسية، حتى تنكشف عن بصيرته غشاوة الجهل، وتبدوا له الحقائق جلية واضحة. وزعيم هذه المدرسة أبو حامد الغزالي.
3. مدرسة وحدة الوجود: زعيم هذه المدرسة محي الدين ابن عربي.
4. مدرسة الاتحاد والحلول: زعيمها الحلاج، ويظهر في هذه المدرسة التأثر بالتصوف الهندي وبالديانة النصرانية، حيث يتصور الصوفي في هذه المدرسة أن الله تعالى قد حلَّ فيه عياذًا بالله، وأنه قد اتحد هو بالله عياذًا بالله[49].

رابعًا: مراتب الصوفية:

واما مراتب الصوفية، التي وضعوها لبيان طبقات المتصوفة ومكانتهم، وقدرتهم واختيارهم على الخلق، واعدادهم، وهم حسب كلام لسان الدين بن الخطيب: «خواص الله في ارضه، ورحمة الله في بلاده على عباده: الأبدال، والأقطاب، والاوتاد، والعرفاء، والنجباء، والنقباء، وسيدهم الغوث».

ولدى الهجويرى هم: «أهل الحل والعقد، وقادة حضرة الحق جل جلاله، فثلاثمائة يدعون الأخيار، وأربعون آخرون يسمون الأبدال، وسبعة آخرون يقال لهم: الابرار، وأربعة يسمون الاوتاد، وثلاثة آخرون يقال لهم: النقباء، وواحد يسمى القطب، والغوث. وهؤلاء جميعا يعرفون أحدهم الآخر، ويحتاجون في الامور لأذن بعضهم البعض».ومثل ذلك ذكرهم الجرجاني في تعريفاته:

«القطب، وهو الغوث: عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان، وهو على قلب اسرائيل عليه السلام.

الامامان: هما شخصان، احدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت،

والآخر عن يساره، ونظره في الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف الغوث.

الاوتاد:

عبارة عن اربعة رجال منازلهم على منازل أربعة اركان من العالمشرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

البدلاء: هم سبعة، ومن سافر من القوم عن موضعه وترك جسدا على صورته حتى لا يعرف احد انه فقد، فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب ابراهيم عليه السلام.

النجباء:

اربعون، وهم المشغولون بحمل اثقال الخلق فلا يتصرفون إلا في حق الغير.

النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهم ثلاثمائة».

وهذا الترتيب مأخوذ عن ابن عربي في فتوحاته كما قال: «والمجمع عليه من أهل الطريق انهم على ست طبقات امهات: اقطاب، وائمة، وأوتاد، وأبدال، ونقباء، ونجباء».

وقد ذكرهم المستشرق الفرنساوى ما سينيون بقوله:

«ويزعم الصوفية أن العالم يدوم بقاؤه بفضل تدخل طبقة من الأولياء المستورين عددهم محدود، وكلما قبض منهم واحد خلفه غيره، ورجال الغيب هم: ثلاثمائة من النقباء، وأربعون من الأبدال، وسبعة أمناء، وأربعة عمد، ثم القطب، وهو الغوث».

فهذه المراتب والترتيب والأعداد لم يأخذها المتصوفة إلا من الشيعة أيضا، وخاصة من الشيعة الاسماعلية والنصيرية كما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في رسائله وفتاواه[50].

أولًا: الطرق الصوفية:

لقد تعددت الطرق الصوفية ومنها على سبيل المثال لا الحصر فمن أوائل الطرق التي اندثرت وهي أصول الطرق التي حدثت فيما بعد:

1- المحاسبية:

نسبة إلى أبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي، بصري سكن بغداد وتوفي سنة 243هـ، « وقد سئل أبو زرعة الرازي عن المحاسبي وكتبه، فقال: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر تجد غنية، هل بلغكم ان مالكًا والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس غلى البدع».وطريقة أتباعه موافقة لمعظم ما عليه صوفية خرسان ذلك الوقت إلا ان لها بعض الاختلاف اليسير بينهم.

2-الطيفورية أو البسطامية:

نسبة إلى طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي وهو مشهور بكنيته (ت234هـ او 261هـ)، كان جده مجوسيا فأسلم، وطريقته كما يصفها الصوفية: الغلبة والسكر، ونقلت عنه اقوال خطيرة مثل: «ما في الجبة غلا الله»، «سبحاني ما أعظم شأني». وكان أتباعه يتجنبون مخالطة الناس، ويفضلون الخلوة والعزلة.

3-السقطية:

نسبة إلى ابي الحسن السري بن المغلس السقطي خال الجنيد، ت 253هـ.

4- القصارية:

أتباع أبي صالح حمدون بن عمارة القصار (ت271هـ)، ومن طريقتهم: إظهار الملامة، ونشرها، والتعرض للبلايا وتأديب النفس بالتحقير والإهانة، واشتهر بعد ذلك طائفة يقال لهم الملامتية، وزاد فيها ابتداعا أيضا تلميذه أبو محمد عبدالله بن منازل، ت 329، او 330هـ. وظهر الغلاة منهم في تركيا حديثًا.

ومن فرقها: القلندرية وهم الذين تركوا العادات والآداب وراءهم ظهريًا واهملوا التقيد بآداب المجالس والمعاملات- ومن الامور التي عرفوا بها: حلق شعر الراس واللحية والشارب والحاجب، وكانوا يلبسون زي العجم والمجوس[51].

5-الجنيدية:

أتباع ابي القاسم الجنيد بن محمد ت297هـ، قالوا في وصف طريقته غنها توفق بين الشريعة والحقيقة، وتجمع بين الظاهر والباطن، وإنها اكثر ملاءمة للمبتدئين وغير الناضجين.

6-النورية:

أتباع ابي الحسن أحمد بن محمد الخراساني البغوي النوري ت295هـ، وهو من أصحاب الجنيد، وله عبارات دقيقة يتعلق بها من انحرف من الصوفية، وأُخِذَ ليُقتل على الزندقة ثم عفي عنه واطلق، وأتباعه أخذوا من عباراته ما قادهم إلى القول بالفناء، والحلول. وهؤلاء يذمون العزلة ويحثون على المعاشرة والمصاحبة، ويحثون على الغيثار ولهم في ذلك تفسيرات وتاويلات وحكايات.

7-السهلية او التسترية:

اتباع سهل بن عبدالله التستري ت273 أو 283هـ. وكانوا يعظمون رياضة النفس والمجاهدة ويجلونها سبيلا للوصول إلى الغاية وهذا مما تتفق

عليه غالب الطرق لكن هؤلاء يولون هذا الجانب اهتمامًا أكبر ويقدمونه على واجبات السالك الأخرى.

8 -الخرازية:

أتباع أبي سعيد احمد بن عيسى الخراز أحد المشاهير الصوفية في القرن الثالث ت279هـ وقيل غير ذلك، وأساس طريقته مبني على موضوع البقاء والفناء قال الذهبي: يقال إنه اول من تكلم في علم الفناء والبقاء، فأي سكتة فاتته، قصد خيرًا، فولد أمرًا كبيرًا تشبث به كل اتحادي ضال به، ونقل عن السلمي إنكار اهل مصر عليه، وتكفيرهم له بألفاظ حفظت عنه.

9 -الحكيمية:

أتباع أبي عبدالله الحكيم محمد بن علي الترمذي، ت296 أو 320هـ/ أحد كبار الصوفية في القرن الثالث، وله تأصيلات خطيرة في الولاية وتكلم الناس فيه لأجل موقفه من الولاية وتقديمه لها على النبوة. وزاد اتباعه بعد ذلك على خطئه ما صار كفرًا.

10 -الحلاجية:

نسبة غلى ابي المغيث الحسين بن منصور الحلاج، قتل:309هـ، وكان جده مجوسيًا، وظهر للناس سوء سيرته، ومروقه، قال الذهبي: «منهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، وغلى الشعبذة والزوكرة، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به على الجهال».

والصوفية كلهم يزكونه ويمدحونه كالغزالي والقشيري وابن عربي والصوفية المعاصرون[52].

11 -السيارية:

أتباع أبي العباس القاسم السياري المروزي ت342هـ، ومذهبهم مبني على الجمع والتفرقة وهما من الألفاظ المجملة التي يراد بها حق وباطل، ولا يفهم سامعها مرادهم بها؛ ويدخلون امورهم الباطلة في مثل هذه المصطلحات؛ فالجمع مشاهدة الأشياء بواسطة الله وبوسيلته، وجمع الجمع هو الفناء عما سوى الله، وهو مقام الاتحاد والاتصال.

12 -الحلمانية:

اتباع أبي حلمان الفارسي الحلبي في القرن الرابع وكانت تصرح بالقول بالحلول ووحدة الوجود، وهي من الطوائف الباطنية.

13 - القشيرية:

اتباع أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري، ت465هـ. ويظهر تطور للطرق بعد حدوث الدولة العثمانية وتوطيد اركانها، فنشطت الطرق وزاد عددها، لتشجيع سلاطين الأتراك على هذه الطرق ومحبتهم لها[53].

التعريف بالاستشراق والمستشرقين:

الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة «مستشرق» تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله من أقصاه إلى أدناه وتشتمل هذه الدراسة في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه[54]، ومن هنا يمكن تعريفه بأنه: «هو الذي يعنى باهتمام العلماء الغربيين بالدراسات الإسلامية والعربية ومنهج هؤلاء العلماء ومدارسهم واتجاهاتهم ومقاصدهم[55]». وقد ارتبطت حركة الاستشراق بالمفهوم الحضاري الغربي الذي استطاع بذكاء ان يوجد تحالفًا بين الثقافة والسياسة، وأن يستخدم الثقافة كأداة لتحقيق أهداف سياسية، حيث لم تكن الغاية المعرفية هي المقصودة في عمل المستشرقين، ولو كان المستشرق يريد أن يعرف الشرق كما هو في عقائده، وقيمه، وفكره، وتقاليده، لأنصت إلى الثقافة الشرقية حتى تحدثه عن ذاتها، لكي يكتشف منها حقيقة الشرق وتراث الشرق، وليس من حق المستشرق وقد تلقى دراسة ثقافة الشرق أن يجعل نفسه وصيًا على تلك الثقافات، لأن ثقافاتهم متميزة ومستقلة متكاملة وهي وليد تاريخ طويل من تفاعل الإنسان بالحياة، وإذا كانت مهمة المستشرق «الاستكشاف» فمن واجبه أن يتابع رسالته الثقافية في محاولة استكشاف الشرق ما هو، من غير وصاية[56]. وقد تعددت مظاهر النشاط الاستشراقي فبدأ المستشرقون خاصة منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر في مختلف بلدان أوروبا وأمريكا بإنشاء جمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية، فتأسست أولًا الجمعية الآسيوية في باريس سنة 1822هـ، ثم الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا سنة 1823هـ، وغيرها، وقد نشطت هذه الجمعيات حيث قامت بأصدار المجلات والمطبوعات وكانت أول مجلة استشراقية متخصصة في أوربا وهي مجلة «ينابيع الشرق» التي صدرت في فيينا من عام 1809م إلى عام 1818م، ثم تلتها مجلات أخرى[57]. وأيضًا من مظاهر النشاط الاستشراقي شهد القرن التاسع عشر الميلادي بداية إقامة المؤتمرات الدولية للمستشرقين، فقد عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام 1873م، وتوالت بعدها المؤتمرات والندوات واللقاءات الإقليمية ولا تزال مثل هذه المؤتمرات تعقد بانتظام حتى اليوم والتي تضم مئات العلماء مثل مؤتمر أكسفور كان يضم تسعمائة عالم من خمس وعشرين دولة، وخمس وثمانين جامعة، وتسع وستين جمعية علمية[58]. وقد تنوعت دوافع وأهداف المستشرقين منها الدافع العلمي، ودافع ديني، ودافع سياسي ودافع اقتصادي، وقد كان المستشرقين ينقسمون إلى فئات مختلفة:

1. فريق من طلاب الأساطير والغرائب، وهؤلاء الذين افتروا على الإسلام وزعموا الاباطيل والأكاذيب حوله.

2. فريق من المرتزقة الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم لخدمة المصالح الغربية من سياسية واقتصادية وغيرها.
3. فريق تعرض للإسلام باسم البحث العلمي لكنهم انحرفوا عن جادة الصواب فراحوا يتلمسون نقاط ضعف في الإسلام، ويشككون في صحة الرسالة المحمدية. وفي القرآن ومصدره، وغير ذلك.
4. فريق من المستشرقين التزم في دراسته للإسلام بالموضوعية والنزاهة العلمية وأنصف الإسلام والمسلمين، وقد أدى الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام[59].

-آراء المستشرقين عن التصوف الإسلامي:

إن كبار الكتّاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين، وحتى الصوفية أقروا أن التصوف وتعاليمه وفلسفته، أوراده وأذكاره، وطرق الوصول إلى المعرفة، مأخوذة مستقاة من المسيحية والمذاهب الهندية والمانوية، والزرادشتية أيضًا فلا ينكرها منكر، ولا يردَّها أحد، ولا يشك فيها شاك، ومن ذلك ما كتبه الأستاذ أبا العلاء العفيفي في ثنايا بحثه عن المشتغلين من المستشرقين في الدراسة عن التصوف فنقل عن المستشرقان الألمانيان ريتشورد هارتمان وماركس هورتين قوله:

«أما ريتشورد هارتمان، وماركس هورتينفنزعتهما واحدة: وهي أن التصوف يستمد أصوله من الفكر الهندي، وإن كان هورتن قد بذل من المجهود في إثبات هذه النظرية ما لم يبذله أي كاتب آخر. فقد كتب في سنتي 1927، 1928م مقالتين حاول أن يثبت في إحداهما، بعد تحليل تصوف الحلاج والبسطامي والجنيد، أن التصوف الإسلامي في القرن الثالث الهجري كان مشبعا بالأفكار الهندية، وأن الأثر الهندي أظهر ما يكون في حالة الحلاج. وفي المقالة الثانية يؤيد النظرية نفسها عن طريق بحث المصطلحات الصوفية الفارسية بحثا فيلولوجيا، وينتهي إلى أن التصوف الإسلامي هو بعينه مذهب الفيدانتا الهندية[60]».ويستند هارتمان في إثبات نفس الدعوى إلى النظر في الصوفية أنفسهم وفي مراكز الثقافة القديمة التي كانت منتشرة في بلادهم، لا إلى المصطلحات الصوفية كما فعل هورتن. وقد نشر في مسألة أصل التصوف مقالًا هامًا سنة 1916م في مجلة Der Islam وخلاصة بحثه أن التصوف الإسلامي مدين للفلسفة الهندية التي وصلت إليه عن طريق مترا ومانى من جهة، وللقبّالة اليهودية والرهبنة المسيحية والغنوصية والأفلاطونية الحديثة من جهة أخرى. وهو يرى أن الذي جمع هذه العناصر كلها ومزجها مزجا تاما في التصوف هو أبو القاسم الجنيد البغدادي المتوفى سنة 297هـ، فإليه يجب أن تتجه

عناية الباحثين. أما حججه في تأييد الأصل الهندي فهي:

أولًا: أن معظم أوائل الصوفية من أصل غير عربي كإبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي وأبي يزيد البسطامي ويحيى بن معاذ الرازي.

ثانيًا: أن التصوف ظهر أولا وانتشر في خرسان.

ثالثًا: أن تركستان كانت قبل الإسلام مركز تلاقي الديانات والثقافات الشرقية والغربية، فلما دخل أهلها في الإسلام صبغوه بصبغتهم الصوفية القديمة. وهذا كلام أشبه بما ذكره كل من ثولك وفون كريمر في هذا الموضوع.

رابعًا: ان المسلمين أنفسهم يعترفون بوجود الأثر الهندي.

خامسا: ان الزهد الإسلامي الأول هندي في نزعته وأساليبه. فالرضا فكرة هندية الأصل، واستعمال الزهاد للمخلاة في سياحتهم، واستعمالهم للسبح، عادتان هنديتان[61]».

هذا والقارئ لأقوال الصوفية، والعارف بأحوالهم ورياضاتهم ومجاهداتهم يلاحظ بنفسه تشابها كبيرا بين هؤلاء وأولئك، وخاصة في تعذيب النفس، وتحمل المشاق، والتجوع، وحبس النفس، واماتة الشهوات، والهروب عن الأهل والأولاد، والجلوس في الخلوات، ومراقبة صورة الشيخ، وطرق الذكر، وكثير من العادات والتقاليد والرسوم، حيث لا يرى فيها مشابهة تامة بتلك المذاهب وأصحابها، كما لا يرى فيها أي أثر للإسلام وتعاليمه، ولا ثبوت من حاملي رايته، ومتمسكي سبيله، ومتبعي طريقة.

ومن المقولات التي تعتبر شهادات داخلية، واعترافات، وعبارات ناطقة عن منابعها ومصادرها حيث نقل المستشرق الإنجليزي نيكلسون (1868-1945م)، عن الجامي أنه قال:

«إن الجنيد أول من صاغ المعاني الصوفية، وشرحها كتابة، وأنه كان يعلّم التصوف في بيوت خاصة وفي السراديب[62]».

وزاد نيكلسون أشياء في مقالاته العديدة التي نشرت في دوائر المعارف، وجمعت بعضها باسم (الدراسات في التصوف الإسلامي وتاريخه) منها ما قاله تحت عنوان الزهد في الإسلام:

«كان عرب الجاهلية على حظ قليل من التفكير الديني، وكان تفكيرهم في هذه الناحية مضطربًا غامضًا. وقد شغلهم انهماكهم في متع الحياة ومتاعبها عن التفكير في حياة أخروية، ولم يخطر ببالهم أن يعدوا أنفسهم لحياة روحية وراء حدود القبر. وقد غرست المسيحية -لا الكنيسة المسيحية، بل المسيحية غير التقليدية وغير المنظمة- بذور الزهد في بلاد العرب قبل البعثة المحمدية، وظل أثرها يعمل عمله في تطور الزهد في الإمبراطورية الإسلامية في عصورها الأولى.

ونحن نعلم أن المسيحية كانت منتشرة قبل الإسلام بين قبائل شمالي الجزيرة العربية، وأن كثيرًا من العرب كانوا على شيء من العلم- مهما كان قليلا وسطحيا- بعقائد الديانة المسيحية وطقوسها. بل إن الإشارات التي وردت في الشعر الجاهلي عن رهبان المسيحيين لتدل على أن عرب البادية كانوا يجلون هؤلاء الرهبان ويعظمونهم، وكانوا يهتدون بأنوارهم المنبعثة من صوامعهم في ظلام الليل وهم يسيرون في الصحراء. فضرب هؤلاء الرهبان وغيرهم من الزهاد الهائمين على وجوههم، مثلا للعرب الوثنيين في الزهد، وحركوا في نفوس بعضهم، وهم المعروفون بالحنفاء، ميلًا إلى النفور من الأوثان ورفض عبادتها. فدان هؤلاء بعقيدة التوحيد، واصطنع بعضهم الزهد ومجاهدة النفس، ولبسوا الصوف وحرموا على أنفسهم بعض انواع الطعام».

وقال أيضًا:

«كانت الثياب المصنوعة من خشن الصوف علامة على الزهد قبل الإسلام، وفي هذا حاكى العرب رهبان المسيحيين. وقد شاع استعمال هذا النوع من الثياب بين زهاد المسلمين الأوائل، ومنه اشتق اسم الصوفية الذي استعمل قبل نهاية القرن الثاني الهجري. على أن اسما آخر أطلق على هؤلاء الزهاد وإن كان أقل شيوعا من اسم الصوفي، وهو (مسوحى) نسبة إلى مسوح جمع مسح وهو اللباس من الشعر. وقد جرت العادة بأن يلبس الزهاد، رجالا كانوا أو نساء، جبة أو مدرعة من الصوف وأن تلبس المرأة احيانا غطاء على الرأس من القماش نفسه، وهذا الغطاء هو الخمار.

وقد استنكر سفيان الثوري المتوفى سنة 161هـ لبس الصوف، وعدّه بدعة، واستنكره كذلك غيره من المسلمين لأنهم اعتبروه رمزا للمسيحية وعلامة على الرياء». وقال ايضًا تحت عنوان التصوف باحثا عن كلمة الصوفي نقلا عن نولدكه: «إن المسلمين في القرنين الأولين للإسلام كانوا يلبسون الصوف، وبخاصة من سلك منهم طريق الزهد، وأنهم كانوا يقولون: لبس فلان الصوف: بمعنى تزهد ورغب عن الدنيا. فلما انتقل الزهد إلى التصوف قالوا: لبس فلان الصوف بمعنى: أصبح صوفيا. وكذلك الحال في اللغة الفارسية: فإن قولهم (بشمينا بوش) معناه: يلبس لباس الصوف.

وقد أخذ زهاد المسلمين الاوائل عادة لبس الصوف عن رهبان المسيحيين ونساكهم، يدل على ذلك أن حماد بن أبي سليمان قدم البصرة، فجاءه فرقد السنجي وعليه ثياب صوف، فقال له حماد: ضع عنك نصرانيتك هذه. وقد أطلقوا على هذه الثياب (زي الرهبان)، واستشهدوا بحديث معناه أن النبيﷺ قال: ان عيسى كان يلبس ثياب الصوف».

وقال نيكلسون، والذي عرف باختصاصه في الدراسات عن التصوف، حيث يذكر تحت تطور الزهد في العصور الوسطى: «لم يخرج الصوفية كثيرا على الحديث القائل: لا رهبانية في الإسلام إلا بعد مضى عدة قرون- إلى ان يقول-: وغننا لا نعلم إلا القليل عن نظام الزهد الرهباني ونشأته في العصور الإسلامية الاولى، ويقال: ان اول خانقاه أسست لمتصوفة المسلمين كانت برملة في فلسطين قبل نهاية المائة الثامنة الميلادية على ما يظهر، وان مؤسسها كان راهبا مسيحيا..»

هذا بالنظر إلى أنه لا يوجد في تعاليم القرآن والسنة رسم ولا أثر لهذه التكايا والزوايا والخانقاوات والربط، بل أمر المسلمين ببناء المسجد للعبادة، كما أمروا بتعمير بيوتهم بقراءة القرآن فيها والعبادة. وأما بناء الأمكنة الخاصة للتعبد والذكر والأوراد فليس إلا تقليلا لشأن المساجد، وصرف الناس عنها، واعطاء التكايا والزوايا والربط مكانتها وشأنها، وفي هذا مخالفة لأوامر الله وتعاليم رسوله صلوات الله وسلامه عليه. وعلى ذلك قال ابن الجوزي: «أما بناء الأربطة فإن قوما من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد، وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه:

أحدها: إنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد.

والثاني: انهم جعلوا للمساجد نظيرا يقلل جمعها.

والثالث: انهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطى إلى المساجد.

والرابع: انهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم في الأديرة.

والخامس: انهم تعزبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح.

والسادس: انهم جعلوا لأنفسهم علما ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم، وغن كان قصدهم غير صحيح فغنهم قد بنوا دكاكين للكوبة ومناخا للبطالة واعلاما لإظهار الزهد.

وأما قضية المصطلحات التي روجوها بين الناس، واستعملوها فيما بينهم فلا يشك أحد في كونها أجنبية في الإسلام ولغة الإسلام العربية، ومقتبسة مأخوذة من المسيحية بحروفها والفاظها، معانيها ومدلولاتها مثل: «ناموس، رحموت، رهبوت، لا هوت، جبروت، رباني، روحاني، نفساني، جثماني، شعشعانى، وحدانية، فردانية، رهبانية، عبودية، ربوبية، ألوهية، كيفوفية».

والجدير بالذكر، ومن الأشياء اللافتة للأنظار أن كل من حاول تبرئة التصوف عن كونه مأخوذا ومقتبسا من الرهبنة المسيحية لم يسعه الانكار عن كون المسيحية احدى مصادر التصوف، وأنه استفاد منها. ومن الباحثين والمؤيدين: لهذا الاتجاه «فون كريمر، وجولدزيهر، ونيكولسون، وفلسنك وآسين

وبلاسيوس، وأندرية وأوليرى.

ولقد ذكر جمع من الكتّاب والباحثين في التصوف ممن اشتغلوا بالتصوف من المسلمين وغيرهم من المستشرقين، وقل من شذ عنهم ان الافلاطونية الحديثة هي أحد المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها هي المصدر الأول بالنسبة للقائلين بوحدة الوجود والحلول بدءًا من ابي اليزيد البسطامي، وسهل التسترى، وابن عربي والحلاج والسهروردي وغيرهم.

وقد ذهب معظم المستشرقين إلى ان الأفلاطونية الحديثة من اهم مصادر التصوف، وخاصة للتصوف المتأخر من القرون الأولى، ولقد بحث المستشرق الانجليزي نيكلسون هذا الأمر في مقالاته عن التصوف بمواضع عديدة، فارجع نشأته إلى عوامل خارجة عن الإسلام عملت عملها ابتداء من القرن الثالث الهجري، واهم هذه العوامل وأبرزها في نظره هو الأفلاطونية الحديثة المتأخرة التي كانت شائعة في مصر والشام إلى عهد ذى النون المصرى ومعروف الكرخى، ولهذا يتخذ من ذي النون المصرى محورا لبحثه في هذه المقالة، فيأتي بكثير من الأسانيد التاريخية عن حياة ذي النون ونشأته، ويستدل بها على أن ذا النون كان على علم بالحكمة اليونانية الشائعة في عصره. ويتتبع حركة الثقافة اليونانية المتأخرة وطرق وصولها إلى المسلمين[63]. وينتهي إلى ان التصوف في ناحيته النظرية مأخوذة من الافلاطونية الحديثة موافقا في ذلك رأى ميركس الذي شرح هذه النظرية في كتابه (التاريخ العام للتصوف ومعالمه) هيدلبرج سنة 1893م[64].

الخاتمة

نتائج الدراسة:

- من خلال عرض تعريف للتصوف يلاحظ تعدد التعريفات سواء من غير المتصوفين وكذلك المتصوفين أنفسهم واختلافهم على تعريف التصوف.
- لقد بينت هذه الدراسة مراحل التصوف منذ بدايته التي عرفت بالزهد والتفرغ للعبادة، ثم تطوره إلى أن دخلتها البدع والانحرافات العقدية والبدعية.
- كان للتصوف أعلامه ورجاله البارزين الذين ارتبطت اسمائهم واشتهرت إلى أن أصبحت مسميات للطرق صوفية فمن أعلامهم على سبيل المثال لا الحصر أبي الحسن الشاذلي، والتي ظهرت عنه الطريقة الشاذلية، والطريقة القادرية نسبه إلى عبدالقادر الجيلاني، والطريقة الرافعية نسبه إلى أحمد الرفاعي.

- ظهرت للتصوف مدارس متعددة ومختلفة ولكل مدرسة لها مؤسسها، منها مثلًا: مدرسة الزهد فمن الرائدين فيها رابعة العدوية، ومدرسة وحدة الوجود زعيمها محي الدين ابن عربي، ومدرسة الاتحاد والحلول وزعيمها الحلاج.
- من خلال هذه الدراسة يلاحظ اهتمام المستشرقين والذين تم تعريفهم بأنهم هم العلماء الغربيين المشتغلين بالدراسات الإسلامية والعربية، حتى شملت دراستهم واهتماماتهم الحديث عن التصوف الإسلامي بل وألفوا فيه الكتب وكتبوا مقالات عديدة من أمثال المستشرق الإنجليزي نيكلسون.
- بينت الدراسة أبرز مظاهر النشاطات للمستشرقين فبدأت اولًا بأقامة وإنشاء الجمعيات لمتابعة الدراسات الشرقية، ثم بدأت بأصدار المجلات ثم إقامة المؤتمرات والندوات، وكان للهؤلاء المستشرقين دوافع وأهداف متمثلة بأبرزها الدافع الديني ثم الدوافع الاخرى كالدافع الاقتصادي والدافع السياسي كذلك شملت الدوافع الدافع العلمي.
- من خلال الحديث عن المستشرقين ودراساتهم يلاحظ أنهم انقسموا إلى فئات مختلفة اثناء تناولهم الدراسات الاسلامية والعربية فيمكن أختصارها بأن بعض هذه الدراسات اتسمت بعدم الموضوعية وكانت كتاباتهم مليئة بالأكاذيب والاباطيل، ودراسات اخرى موضوعية صادقة وتكتب الحقيقة بدون كذب ولا تزييف.
- ركزت هذه الدراسة على اراء بعض المستشرقين عن التصوف الاسلامي، كالمستشرقين الألمانيين ريتشورد هارتمان، وماركس هورتين، ونيسكون المستشرق الأنكليزي.
- أرجع بعض المستشرقين كانيكسون وغيره أن التصوف تأثر بعوامل خارجه عن الدين الإسلامي، وأن من اهم مصادره وأبرزها تأثرها بالفلسفة الافلاطونية الحديثة، بل هي إحدى المصادر الاساسية للتصوف.

المصادر والمراجع:

أولًا- المصادر:

(1) أحمد الاصبهاني: حلية الاولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

(2) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط1، د.ت.ن.

(3) عبدالحي بن أحمد العكبري الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1413هـ.

(4) عبدالحي بن فخر الدين الحسني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1420هـ.

(5) عبدالرحمن بن علي بن الجوزي: تلبيس ابليس: تحقيق أحمد بن عثمان المزيد، دار الوطن، الرياض، ط1، 1423هـ.

(6) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبدالواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 2004م.

(7) عبدالوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.ن.

(8) محمد أحمد الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق يمان الميادني، رمادي للنشر، الدمام، 1414هـ.

(9) محمد بن الحسين السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2010م.

(10) محمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ.

(11) محمد المحبي: خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د.ت.ن.

(12) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417هـ.

(13) محمد عبدالرحمن السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د.ت.ن.

ثانيًا-المراجع:

(14) إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر، ط1، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1406هـ.

(15) أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1305هـ.

(16) سعيد مسفر القحطاني: الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، ط1، 1418هـ/ 1998م.
(17) عبدالعزيز بن أحمد البداح: حركة التصوف في الخليج العربي دراسة تحليلية نقدية، ط1، 1436هـ.
(18) محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، الرباط، 1433هـ/ 2012م.
(19) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، 1997م.

ثالثًا-الرسائل العلمية:

(20) عبدالقادر النفاتي: المعرفة الصوفية عند الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة الزيتون، تونس، 1996م.

رابعًا-الدوريات:

(21) فهد بن سليمان الفهيد: نشأة بدع الصوفية، دار المنظومة.
(22) مجموع الفتاوى الشرعية، وزارة الشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1417هـ.
(23) ممدوح الحربي: الصوفية وطرقها، دار المنظومه.

المصادر والمراجع:

(1) أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 5031هـ. ج1، 881.؛ عبدالعزيز البداح: حركة التصوف في الخليج العربي دراسة تحليلية نقدية، ط1، 6341هـ، ص 61.

(2) سعيد مسفر القحطاني: الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، ط1، 8141هـ/ 7991م، ص984.

(3) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبدالواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 4002م، ص333. سعيد القحطاني: المرجع السابق، ص984.

(4) عبدالرحمن بن علي بن الجوزي: تلبيس ابليس، تحقيق:أحمد بن عثمان المزيد، دار الوطن، الرياض، ط1، 3241هـ،ج3، ص 919. عبدالعزيز البداح: المرجع السابق، ص71.

(5) هو السيد الشريف صديق حسن بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي، من أمراء الهند وعلمائها، سلفي المعتقد، بلغت مؤلفاته اثنين وعشرين ومائتين مؤلفًا، توفي سنة: (7031هـ). عبدالحي بن فخر الدين الحسني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 0241هـ، جـ 8، ص 2421.

(6) عبدالعزيز البداح: المرجع السابق، ص71-81.

(7) هو شهاب الدين أبو حفص وأبو عبدالله عمر بن محمد بن عبدالله القرشي التيمي البكري السهروردي الصوفي ثم البغدادي، ينسب إلى سُهرَوَرد، شيخ الصوفية، توفي سنة 236هـ.

(8) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 7141هـ، جـ22، ص373..

(9) هو أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المالكي، أبو العباس، زروق، فقيه محدث صوفي، له مؤلفات كثيرة، منها: شرح مختصر خليل، الحوادث والبدع. توفي سنة: 998هـ. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد عبدالرحمن السخاوي، دار الجيل، بيروت، د.ن.ت، جـ 1، ص222.

(10) هو معروف بن فيروز وقيل فيرزان، أبو محفوظ الكرخي البغدادي، أحد الزهاد، توفي سنة 002هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ 9، ص933.

(11) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي، يلقب بالخراز، شيخ الصوفية، توفي سنة 792هـ. عبدالحيبن أحمد العكبري الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جـ 2، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 3141هـ، ص822.

(12) هو زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، أشعري، صوفي، شيخه ابو المعالي الجويني، له مؤلفات

منها: إحياء علوم الدين، التهافت، توفي سنة 505هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ91، ص223.

(13) عبدالقادر النفاتي: المعرفة الصوفية عند الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة الزيتون، تونس، 6991م، ص8.

(14) عبدالعزيز البداح: المرجع السابق، 12- 42.

(15) هو أحمد بن عطاء الهجيمي، البصري، القدري، المبتدع، شيخ الصوفية، متروك الحديث، توفي سنة 002هـ.

(61) الذهبي: المصدر السابق، جـ9، ص804.

(17) هو عبدالواحد بن زيد البصري، أبو عبيد، أحد الزهاد، حدث عن الحسن وعطاء، متروك الحديث، توفي بعد سنة 051هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ7، ص871.

(18) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد، عالم، فقيه، عابد، توفي سنة 011هـ. المصدر السابق، جـ71، ص672.

(19) مجموع الفتاوى الشرعية، وزارة الشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 7141هـ، جـ01، ص853- 953.

(20) هي رابعة بنت إسماعيل بن الحسين بن زيد بن علي بن أبي طالب، أم الخير، بصرية، زاهدة عابدة، توفيت سنة 531هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ8، ص142.

(21) عامر بن عبدالله بن الزبير: الإمام الرباني أحد العُباد. اشترى نفسه من الله ست مرات، يعني تصدق بديته ست مرات، سمع الأذان وهو يحتضر فقال: خذوا بيدي. فقيل: إنك عليل. فقال أسمع داعي الله ولا أجيبه. فأخذوا بيده حتى دخل مع الإمام في صلاة المغرب، فركع ركعة ثم مات. قال عنه الإمام مالك: كان عامر ربما انصرف من العتمة فيعرض له الدعاء فلا يزال يدعو إلى الفجر. الذهبي: المصدر السابق، جـ5، 912.

(22) طلق بن حبيب العنزي: كان طيب الصوت بالقرآن برًّ بوالديه ممن يخشى الله، لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق للناس: اتقوها بالتقوى، فقيل له: صف لنا التقوى؟ فقال: العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله. وكان يقول: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد وغن نعم الله أكثر من ان تحصى ولكن أصبحوا تائبين وامسوا تائبين. قال عنه أبو حاتم: طلق صدوق يرى الإرجاء. الذهبي: المصدر السابق، ج4، ص 106.

(23) بشر بن الحارث بن عبدالرحمن المشهور بالحافي: الإمام الزاهد ولد سنة 251هـ، ورحل في طلب العلم وكان يقول: لا علم أفضل من طلب الحديث لمن اتقى الله وحسنت فيه نيته، وأما أنا فأستغفر الله من طلبه ومن كل خطوة خطوت فيه. قال عنه إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلًا منه ولا أحفظ للسانه. كان في كل منه عقل له غيبة لمسلم. مات سنة 722هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ01، ص964.

(24) ذكر الملطي صاحب كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: أن عبدك رأس فرقة من الزنادقة تنسب إليه تسمى (العبدكية)، زعموا أن الدنيا كلها حرام محرم، لا يحل الأخذ منها إلا القوت من حين ذهب أئمة العدل، ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل، وإلا فهي حرام، ومعاملة أهلها حرام.

(52) محمد أحمد الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق يمان الميادينى، رمادي للنشر، الدمام، ط1، 4141هـ، ص 701-801.

(26) هو احمد بن عبدالله بن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ابو نعيم، الإمام الحافظ، الصوفي، الأشعري، له مؤلفات كثيرة، منها: دلائل النبوة، فضائل الصحابة، توفي سنة 034هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ 3، ص542.

(27) أحمد الاصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 8141هـ، جـ1، ص93.

(28) هو عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، ويقال: الشعراوي، ابو محمد، متصوف، ولد في (قلقشندة) بمصر، ونشأ بساقية أبي شعرة من قرى المنوفية، وإليها نسبته، له مؤلفات كثيرة منها: كشف الغمة عن جميع الأمة، اليواقيت والجواهر في عقائد الاكابر، توفي سنة 379هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ 01، ص445.

(29) هو محمد عبدالرؤوف بن تاج الدين بن علي المناوي القاهري الشافعي، زين الدين، انزوى للبحث والتصنيف، له نحو ثمانين مصنفًا، منها: فيض القدير شرح الجامع الصغير، كنوز الحقائق. توفي سنة 1301هـ. محمد المحبي: خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، من غير تاريخ للنشر، جـ2، ص 214.

(30) هو ثوبان بن إبراهيم وقيل فيض بن أحمد، يكنى: أبا الفيض، ويقال: ابا الفياض، واعظ، زاهد، قليل الرواية في الحديث، وكان لا يتقنه. توفي سنة 542هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ11، ص235.

(31) هو أحمد بن أبي الحواري الثعلبي الغطفاني الدمشقي، يكنى ابا الحسن، واسم أبيه عبدالله ميمون، زاهد صوفي، توفي سنة

(23) 642هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ2، ص011.

(33) ابن الجوزي: المصدر السابق، ص761.

(34) هو أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، جالس بشر الحافي والإمام احمد، له انحراف وشطح له تأويل توفي سنة 962هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ31، ص561..

(35) يوسف بن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، ط1، 1531هـ، جـ 3، ص64.

(36) هو أحمد بن عيسى البغدادي الخراز، أبو سعيد، شيخ الصوفية، تكم في الفناء والبقاء، فولد امرًا كبيرًا به كل اتحادي ضال. توفي سنة 772هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ31، ص914.

(37) هو الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، أبوعبدالله، شيخ الصوفية، ورد أن الإمام احمد حذر منه، له مؤلفات منها: رسالة المسترشدين، الإخلاص والنية، توفي سنة 342هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ 1، ص301.

(38) هو عبدالله بن علي الطوسي، ابو نصر السراج، الزاهد، شيخ الصوفية، توفي سنة 873هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ4، ص314.

(39) هو ابو طالب محمد بن علي بن عطية، الحارثي، المكيي المنشأ، العجمي الأصل، شيخ الصوفية، توفي سنة 683هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ 81، ص 635.

(40) هو حمدون بن احمد بن عمارة النيسابوري، ابو صالح، شيخ الصوفية، قدوة الملامتية، توفي سنة 172هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ31، ص05.

(41) هو أحمد بن محمد الخراساني البغوي، شيخ الطائفة بالعراق، له عبارات تعلق بها من انحرف من الصوفية، توفي سنة 592هـ. محمد بن الحسين السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 0102م، ص531.

(42) هو الحسين بن منصور بن محمي، ابو عبدالله، ويقال: ابو مغيث، تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء؛ لسوء سيرته وموقة، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة. توفي سنة 903هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ 41، ص313.

(43) 39() -علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي: شيخ الطائفة الشاذلية الضرير الزاهد نزيل الأسكندرية، مات بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج سنة 656هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ5، ص543.

(44) أحمد بن علي بن يحيي الرفاعي الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعية وتسمى الأحمدية، والبطائحية، ولد بالعراق وتفقه وتصوف فانضم إليه خلق كثير وهو مغربي الأصل. مات سنة 875هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ12، 77.

(45) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جـ11، ص 544.

(46) الأشاعرة: من طوائف اهل الكلام، ينتسبون إلى ابي الحسن الأشعري ت423هـ، يقولون بإثبات سبع صفات فقط، وأن الإيمان هو التصديق بالقلب، وفي القدر يميلون إلى الجبر. محمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق امير علي مهنا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 4141هـ، جـ1، 911.

(47) هو احمد بن علي بن إبراهيم الحسيني، ابو العباس البدوي، تنسب غليه الطريقة الأحمدية، ولد بفاس من المغرب، وانتقل منها إلى طنطا بأرض مصر، توفي سنة 576هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ5، ص543.

(48) هو محمد بن محمد البخاري، ويلقب ببهاء الدين خواجهنقشبند، إليه منتهى الطريقة النقشبندية، توفي سنة 197هـ. محمد السلمي: المصدر السابق، جـ4، ص832.

(49) هو شرف الدين عمر بن علي بن مُرشِد الحموي ثم المصري، أشعر المتصوفين، صاحب الاتحاد، يلقب بسلطان العاشقين، توفي سنة 236هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ22، ص863.

(50) هو محمد بن علي الطائي الحارثي الأندلسي، من القائلين بوحدة الوجود، كفره كثير من علماء السنة، له مؤلفات منها: الفتوحات المكية، فصوص الحكم. توفي سنة 836هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ5، 091.

(51) هو ابو محمد عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الإشبيلي، الصوفي المشهور، من القائلين بوحدة الوجود، توفي سنة 966هـ. احمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط1، من غير تاريخ نشر، جـ3، ص293.

(52) سعيد القحطاني: المرجع السابق، ص305.

(53) ممدوح الحربي: الصوفية وطرقها، دار المنظومة ص81- 91.

(54) إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط1، 6041هـ/ 6891م، ص 132- 332.

(55) فهد الفهيد: نشاة بدع الصوفية، دار المنظومة، ص401- 501.

(56) فهد الفهيد: المرجع السابق، ص 601- 701.

(57) فهد الفهيد: المرجع السابق، ص701- 901.

(58) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، 7991م، ص 81.

(59) محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، الرباط، 3341هـ/ 2102م، ص 21.

(60) محمد فاروق النبهان: المرجع السابق، ص 21- 31.

(61) محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص34- 44.

(62) محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص 44- 54.

(63) محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص37- 97.

(64) إحسان إلهي ظهير: المرجع السابق، ص 79.

(65) إحسان إلهي ظهير: المرجع السابق، ص79-89.

(66) إحسان إلهي ظهير: المرجع السابق، ص99.

(67) إحسان إلهي ظهير: المرجع السابق، ص821- 921.

(68) إحسان إلهى ظهير: المرجع السابق، ط1، ص 121.